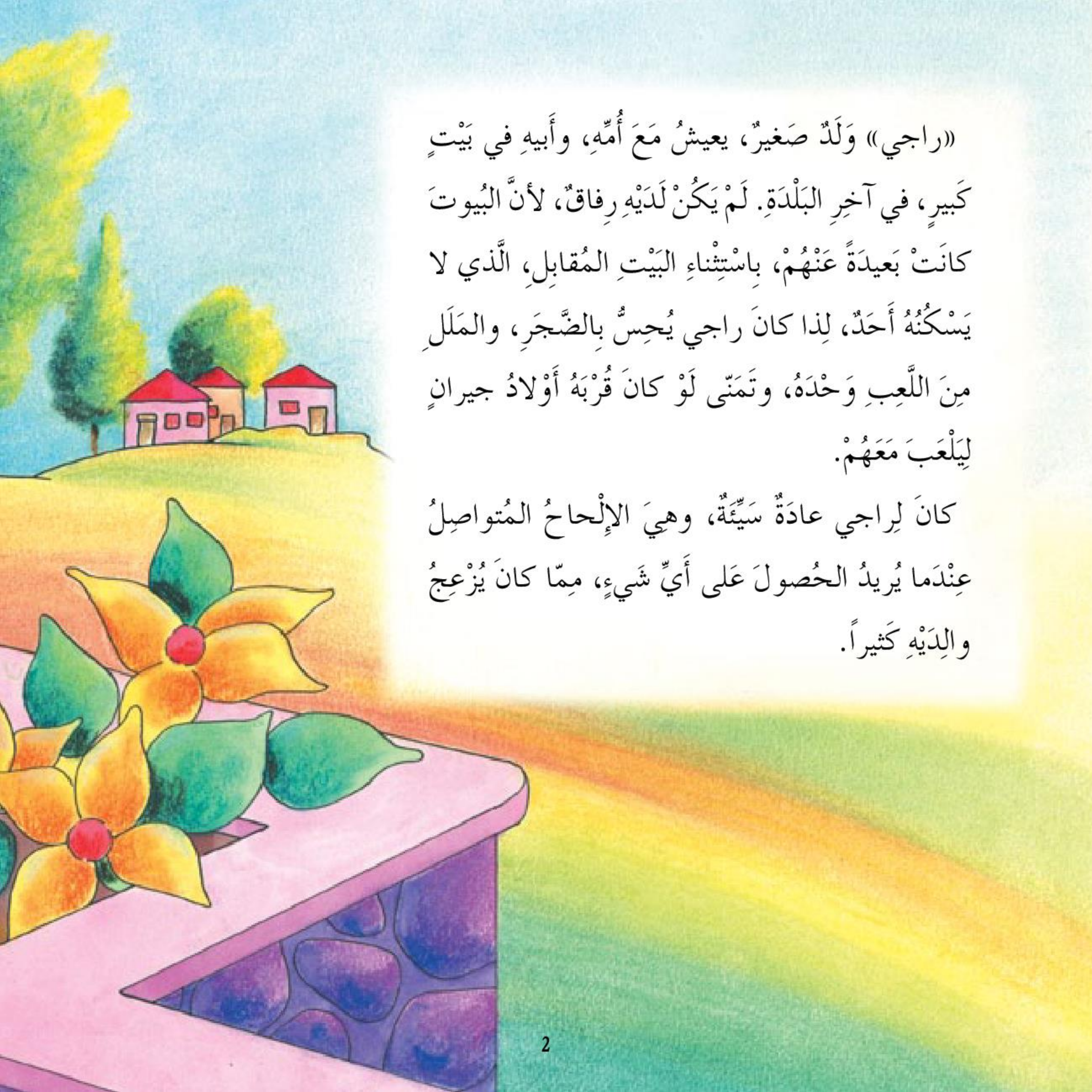
السلسلة
القصَّية
للصغار

راجي فوق قوس قزح

قصة: نهى طبارة حمود
رسوم: بلال فتح الله





«راجي» وَلَدٌ صَغيرٌ، يعيشُ مَعَ أُمِّهِ، وأَبيهِ في بَيْتٍ كَبيرٍ، في آخِرِ البَلْدَةِ. لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ رِفاقٌ، لأنَّ البُيوتَ كانَتْ بَعيدَةً عَنْهُمْ، بِاسْتِثْناءِ البَيْتِ المُقابِلِ، الَّذي لا يَسْكُنُهُ أَحَدٌ، لِذا كانَ راجي يُحِسُّ بِالضَّجَرِ، والمَلَلِ مِنَ اللَّعِبِ وَحْدَهُ، وتَمَنّى لَوْ كانَ قُرْبَهُ أَوْلادُ جيرانٍ لِيَلْعَبَ مَعَهُمْ.

كانَ لِراجي عادَةٌ سَيِّئَةٌ، وهِيَ الإِلْحاحُ المُتَواصِلُ عِنْدَما يُريدُ الحُصولَ عَلى أَيِّ شَيءٍ، مِمّا كانَ يُزْعِجُ والِدَيْهِ كَثيراً.

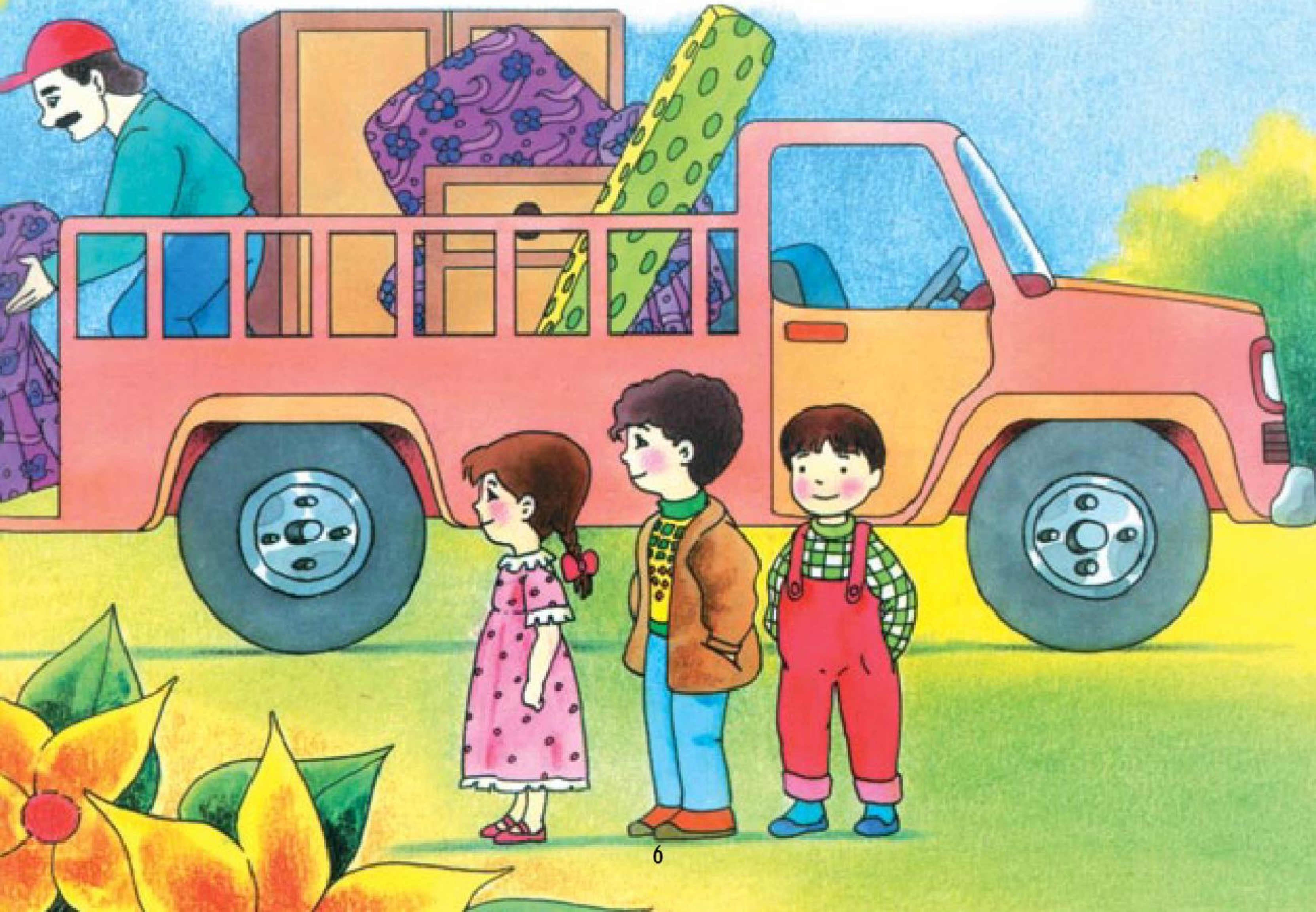




فَرِحَ راجي عِنْدَ وِلادَةِ أَخيهِ الصَّغيرِ «راوي»، وظَنَّ أَنَّهُ وَجَدَ مَنْ يَلْعَبُ مَعَهُ. إِنْتَظَرَهُ عِدَّةَ شُهورٍ لِيُشارِكَهُ اللَّعِبَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكْبُرْ إِلاَّ قَليلاً. نَفَذْ صَبْرُهُ، وقالَ يائِساً: لَقَدْ مَلَلْتُ البَقاءَ مَعَ هَذا الأَخِ الَّذي لا يَمْشي، ولا يَحْكي. إِنَّهُ فَقَطْ يُرَفْرِفُ بِيَدَيْهِ مِثْلَ العُصْفورِ، وعِنْدَما يَضْحَكُ يُصْدِرُ صَوْتاً مِثْلَ القِطَّةِ، ويُزْعِجُني بِبُكائِهِ واعْ واعْ، في اللَّيْلِ وفي النَّهارِ.

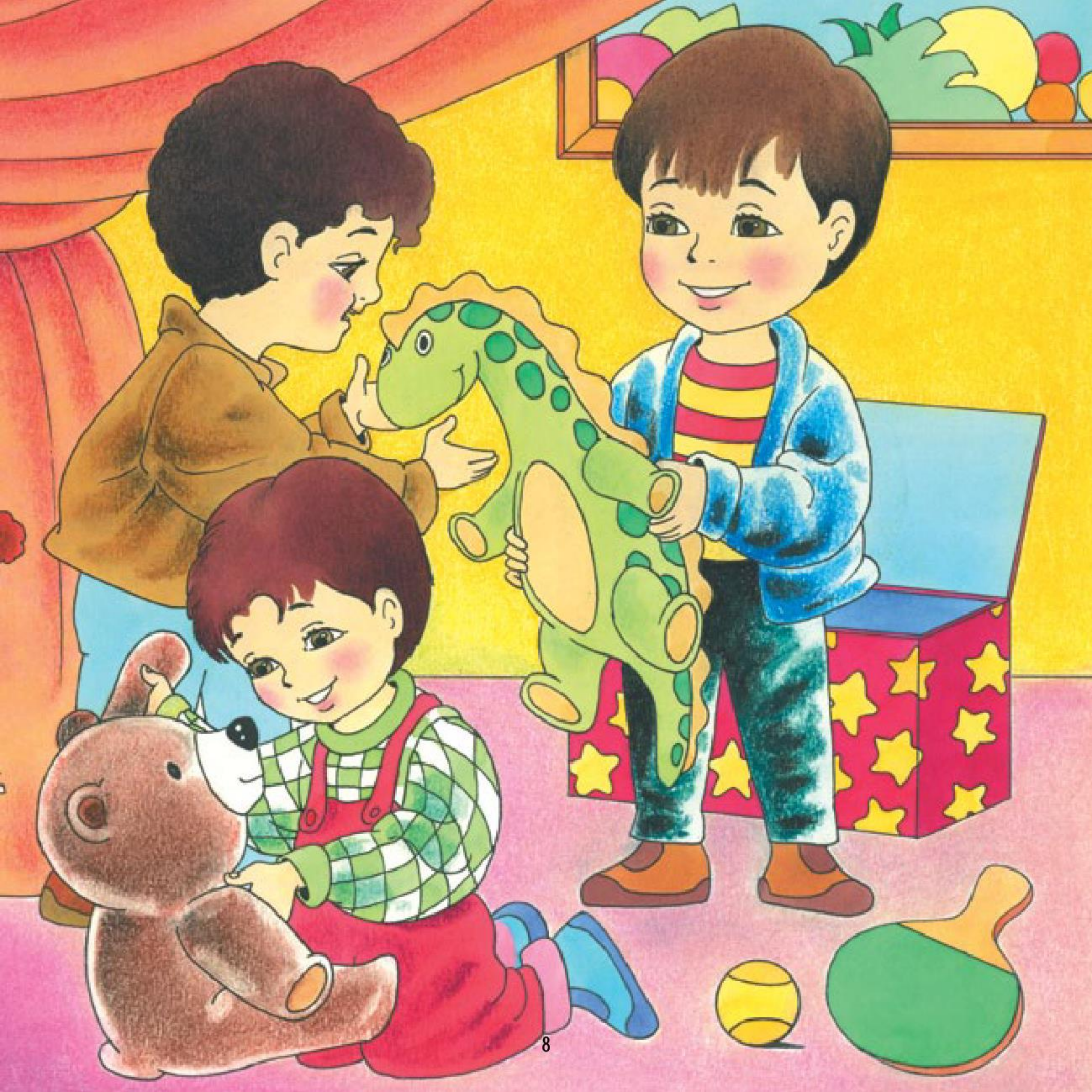


صَباحَ اليَوْمِ التّالي، إِسْتَيْقَظَ راجي عَلى ضَجَّةٍ قَريبَةٍ. قَفَزَ مِنْ سَريرِهِ، خَرَجَ إِلى الشُّرْفَةِ لِيَرى ما يَجْري، وكَمْ كانَتْ سَعادَتُهُ كَبيرَةً عِنْدَما رَأى شاحِنَةً كَبيرَةً، مَليئَةً بِالأَثاثِ، مُتَوَقِّفَةً قُرْبَ البَيْتِ المُقابِلِ، والعُمّالُ يَنْقُلونَ الأَثاثَ إِلى داخِلِهِ.



فَرِحَ راجي أَكْثَرَ عِنْدَما رَأى وَلَدَيْنِ وبِنْتاً صَغيرَةً يَقِفونَ جانِباً. غَسَّلَ راجي وَجْهَهُ، ولَبِسَ ثِيابَهُ بِسُرْعَةٍ، ونَزَلَ.







تَقَدَّمَ مِنَ الأَوْلادِ، وقالَ: أَنا جارُكُمْ. إِسْمي راجي..

قالَ الوَلَدُ الأَكْبَرُ: أَنا صابِرٌ، وهَذا أَخي سامِرٌ، وهَذِهِ أُخْتي لينا.

قالَ راجي: أَهْلاً بِكُمْ. تَعالَوْا لِنَلْعَبَ مَعاً في بَيْتي.

أَخَذَ الأَوْلادُ مُوافَقَةَ أُمِّهِمْ ورافقوهُ.

في البَيْتِ أَراهُمْ راجي كُلَّ أَلعابِهِ، لَعِبوا بِها مَعاً، وقَضَوا وَقْتاً مُسَلِّياً جِدّاً.



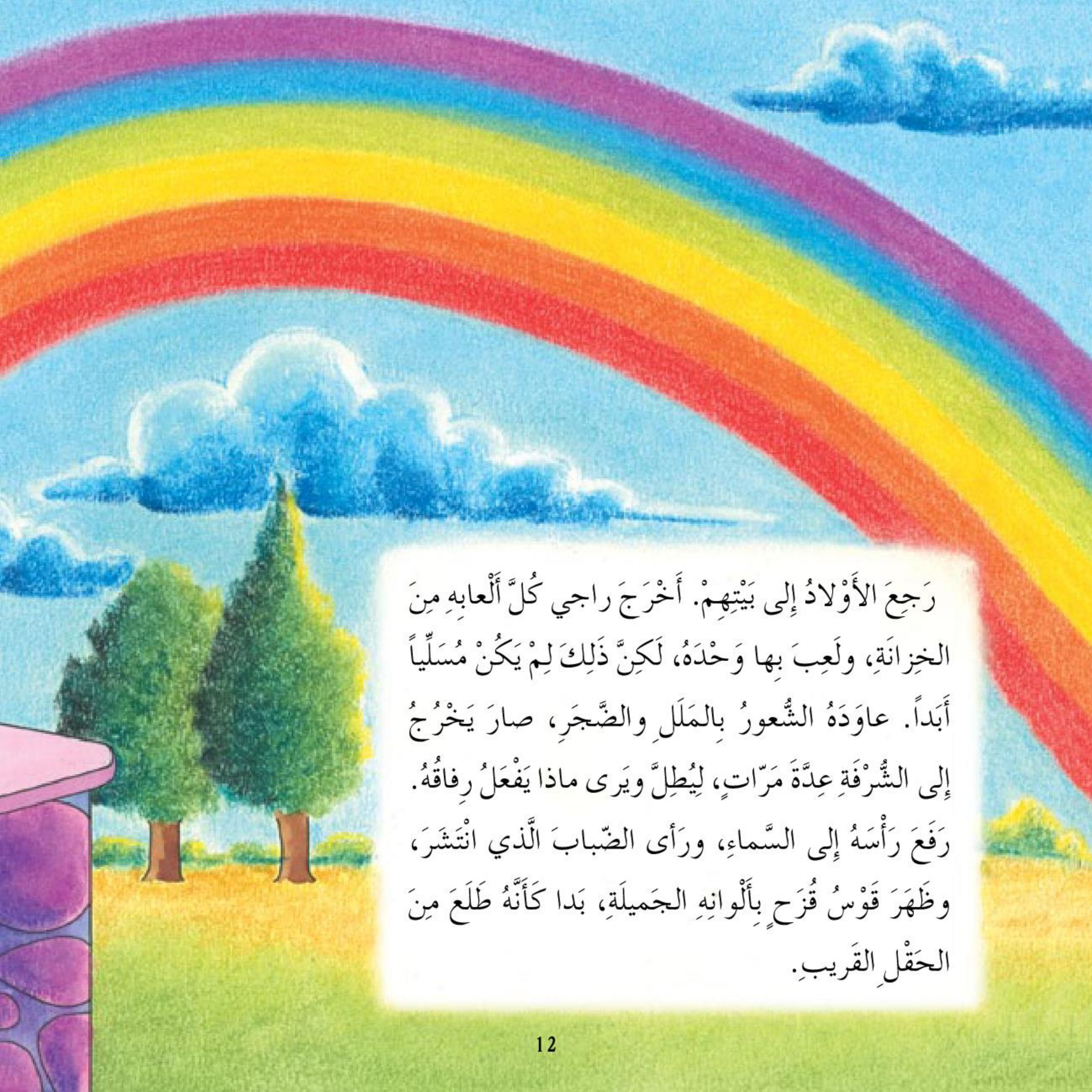
صارَ راجي يَذْهَبُ إلى بَيْتِهِمْ، ويَلْعَبُ بِأَلْعابِهِمْ أَيْضاً. لَكِنْ، بَعْدَ فَتْرَةٍ صارَ يَتَضايَقُ عِنْدَما يَأْتونَ بَيْتَهُ، وكُلَّما أَمْسَكَ أَحَدُهُمْ بِإِحْدى أَلْعابِهِ، يُسْرِعُ فَيَنْتَزِعُها مِنْهُ. وحَتّى عِنْدَما يَطْلُبونَ السَّماحَ لَهُمْ باللَّعِبِ بِها، كانَ يَقولُ: إِنَّها لي، ولا أُريدُ أَنْ يَلْعَبَ بِها أَحَدٌ.

غَضِبَ الأَوْلادُ كَثيراً. قالَ صابِرٌ: ونَحْنُ لَنْ نَسْمَحَ لَكَ بِأَنْ تَلْعَبَ بِأَلْعابِنا بَعْدَ اليَوْمِ.

قالَ سامِرٌ: ولا نُريدُ أَنْ نُكَلِّمَكَ بَعْدَ الآنَ.

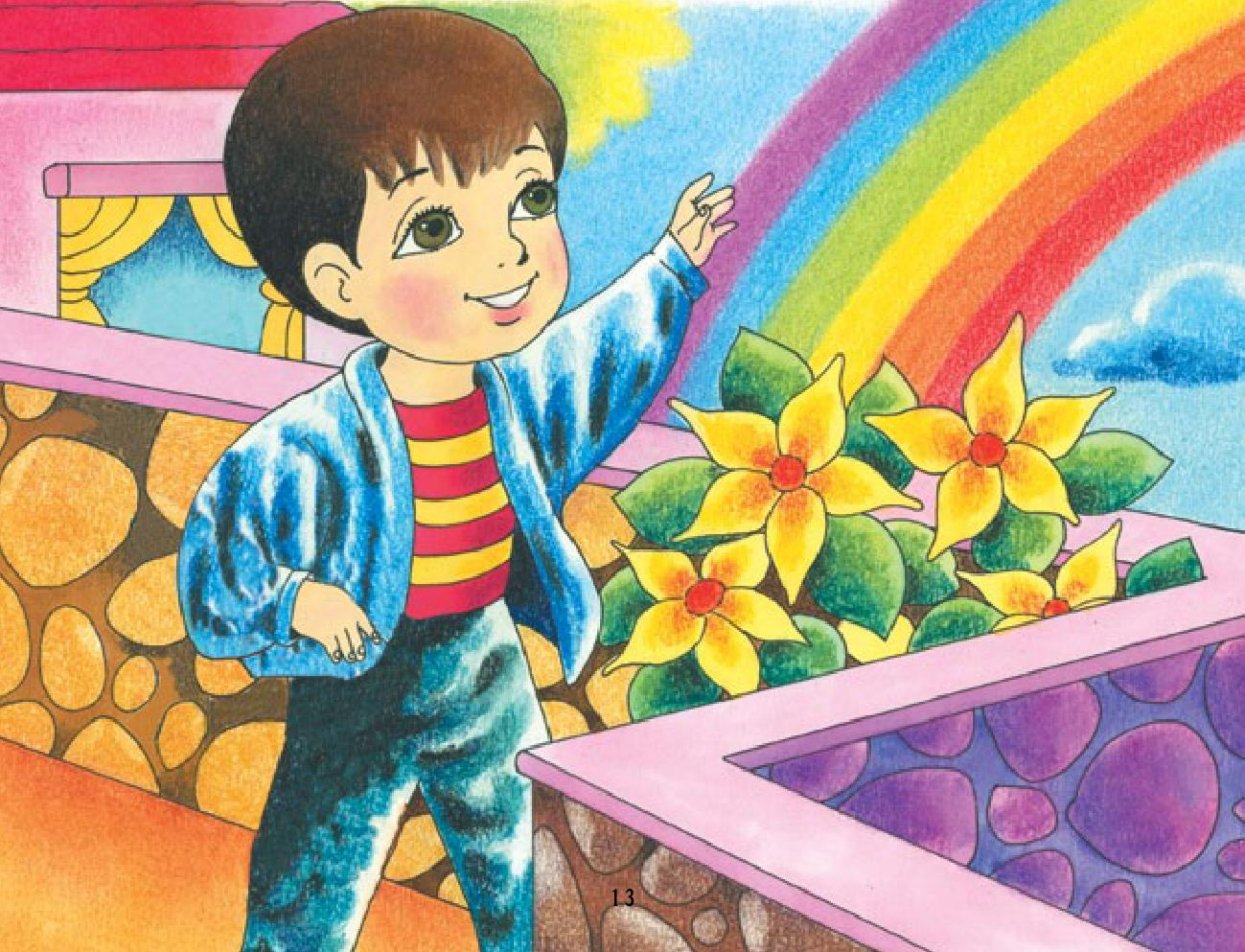
قالَتْ لينا: هَيّا بِنا.

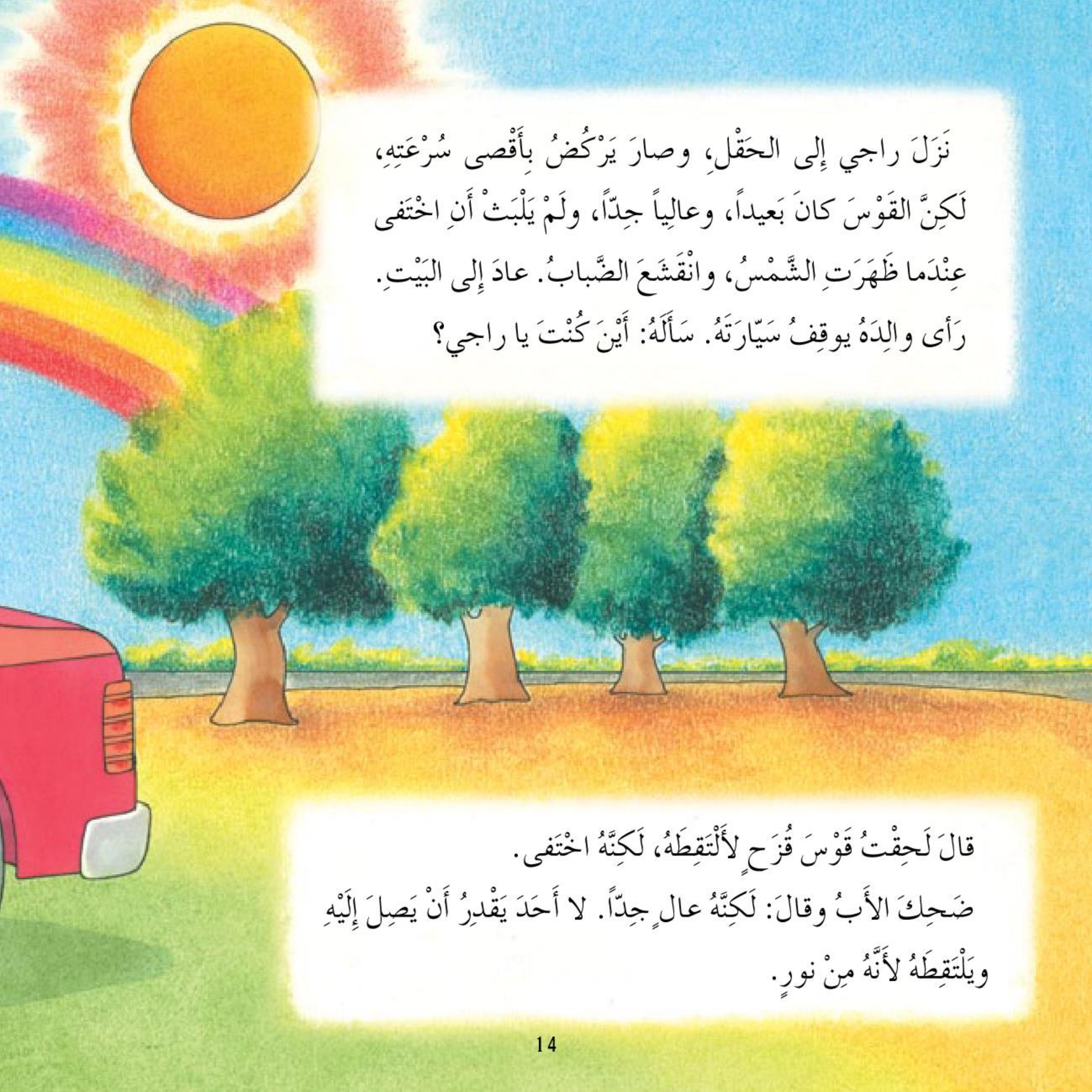




رَجِعَ الأَوْلادُ إِلى بَيْتِهِمْ. أَخْرَجَ راجي كُلَّ أَلْعابِهِ مِنَ الخِزانَةِ، ولَعِبَ بِها وَحْدَهُ، لَكِنَّ ذَلِكَ لِمْ يَكُنْ مُسَلِّياً أَبداً. عاوَدَهُ الشُّعورُ بِالمَلَلِ والضَّجَرِ، صارَ يَخْرُجُ إِلى الشُّرْفَةِ عِدَّةَ مَرّاتٍ، لِيُطِلَّ ويَرى ماذا يَفْعَلُ رِفاقُهُ. رَفَعَ رَأْسَهُ إِلى السَّماءِ، ورَأى الضّبابَ الَّذي انْتَشَرَ، وظَهَرَ قَوْسُ قُزَحٍ بِأَلْوانِهِ الجَميلَةِ، بَدا كَأَنَّهُ طَلَعَ مِنَ الحَقْلِ القَريبِ.

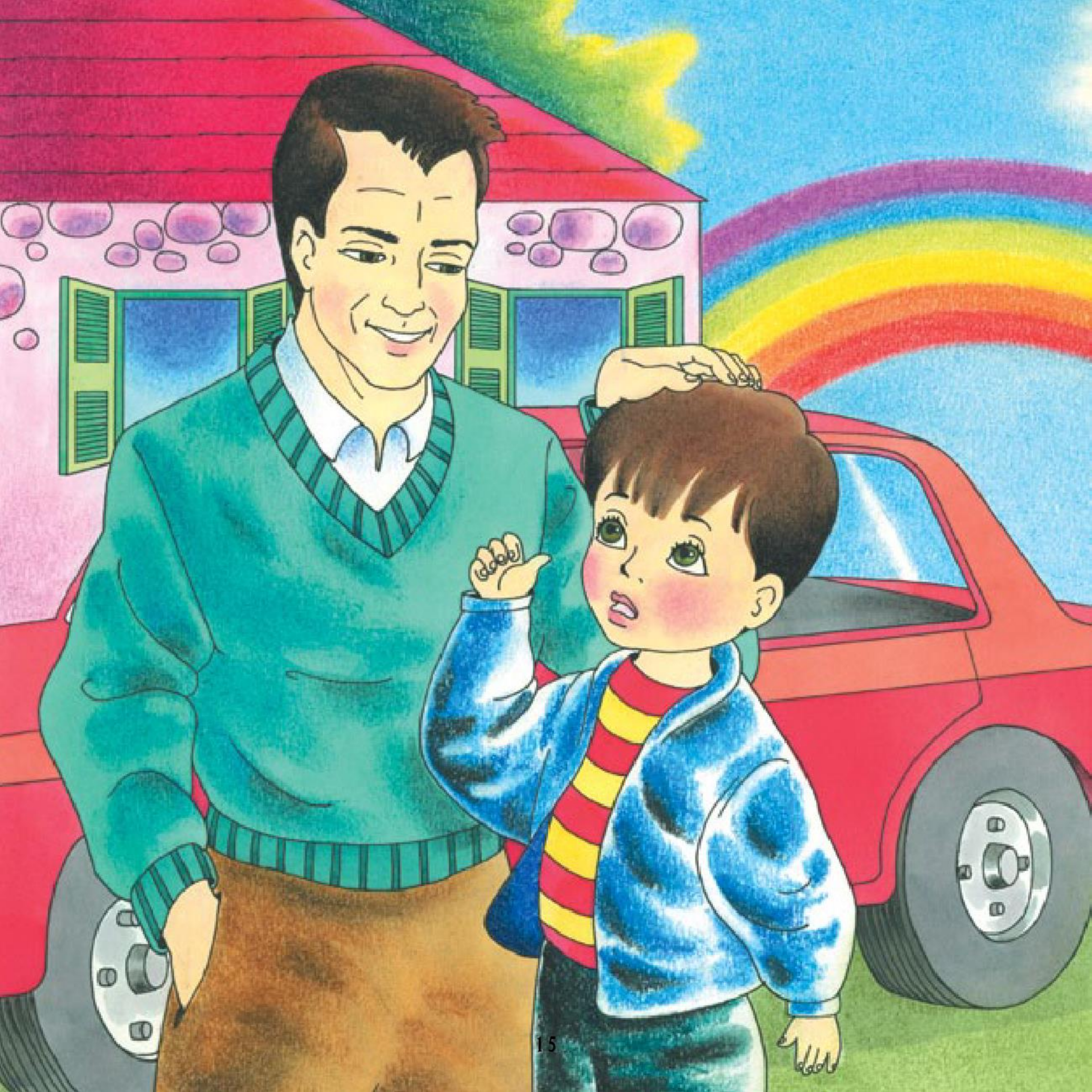
قالَ راجي: أَنا مُتَأَكِّدٌ أَنَّني أَقْدِرُ عَلى الوُصولِ إِلَيْهِ، ولَمْسِهِ بِيَدي، وعِنْدَئِذٍ سَيُصْبِحُ قَوْسُ قُزَحٍ لي وَحْدي.





نَزَلَ راجي إِلى الحَقْلِ، وصارَ يَرْكُضُ بِأَقْصى سُرْعَتِهِ،
لَكِنَّ القَوْسَ كانَ بَعيداً، وعالِياً جِدّاً، ولَمْ يَلْبَثْ أَنِ اخْتَفى
عِنْدَما ظَهَرَتِ الشَّمْسُ، وانْقَشَعَ الضَّبابُ. عادَ إِلى البَيْتِ.
رَأى والِدَهُ يوقِفُ سَيّارَتَهُ. سَأَلَهُ: أَيْنَ كُنْتَ يا راجي؟

قالَ لَحِقْتُ قَوْسَ قُزَحٍ لِأَلْتَقِطَهُ، لَكِنَّهُ اخْتَفى.
ضَحِكَ الأَبُ وقالَ: لَكِنَّهُ عالٍ جِدّاً. لا أَحَدَ يَقْدِرُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ
ويَلْتَقِطَهُ لأَنَّهُ مِنْ نورٍ.





سَأَلَهُ راجي: مِنْ أَيْنَ يَأْتي قَوْسُ قُزَحٍ؟

فَأَجابَ الأَبُ: يَأْتي عِنْدَما يَمُرُّ نورُ الشَّمْسِ، مِنْ خِلالِ الضَّبابِ أَوِ المَطَرِ.

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ عادَتِ الشَّمْسُ إِلى الاخْتِباءِ بَيْنَ الغَيْمِ. نَزَلَ المَطَرُ، وأَطَلَّ بَعْضُ نورِها مِنْ خِلالِهِ، فَظَهَرَ قَوْسُ قُزَحٍ مِنْ جَديدٍ.

صَرَخَ راجي بِفَرَحٍ: أَسْرِعْ يا أَبي. خُذْني بِالسَّيّارَةِ إِلى قَوْسِ قُزَحٍ قَبْلَ أَنْ يَخْتَفِيَ.

ورَدَّ الأَبُ: حَسَناً: هَيّا بِنا.

قادَ الأَبُ السَّيّارَةَ بِاتِّجاهِ الأُفُقِ، فيما كانَ راجي يَقولُ:

ـ بِسُرْعَةٍ يا أَبي، بِسُرْعَةٍ.

لَكِنَّ القَوْسَ بَدا أَبْعَدَ وأَبْعَدَ. ثُمَّ اخْتَفى عِنْدَما تَوَقَّفَ المَطَرُ.

حَزِنَ راجي، وصارَ يَشْكو كَعادَتِهِ ويَقولُ: أُريدُ القَوْسَ. أُريدُ قَوْسَ قَزَحٍ الآنَ... الآنَ...





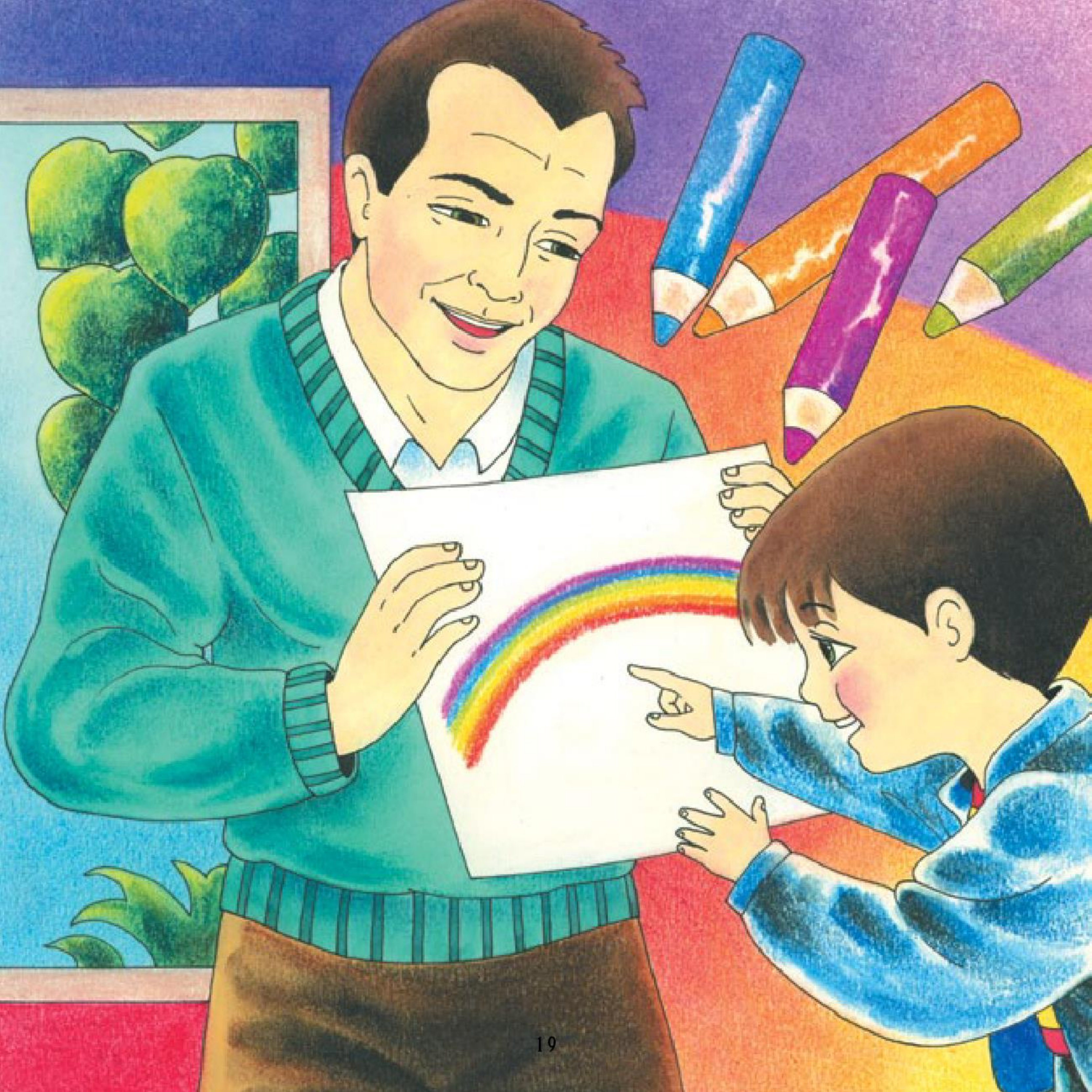
قالَ الأَبُ: حَسَناً، سَيَكونُ لَكَ قَوْسُ قَزَحٍ لا يَخْتَفي أَبَداً.

وهَتَفَ راجي بِفَرَحٍ: أَصَحيحٌ يا أَبي.. كَيْفَ؟

وقالَ الأَبُ: سَتَرى بَعْدَ قَليلٍ.

أَوْقَفَ الأَبُ سَيّارَتَهُ قُرْبَ المَكْتَبَةِ، ونَزَلَ مَعَ راجي. إِشْتَرى أَوْراقاً كَبيرَةً بَيْضاءَ، وعُلْبَةَ أَقْلامِ تَلْوينٍ، ثُمَّ عادا إِلى البَيْتِ.

عَلى إِحْدى الأَوْراقِ، رَسَمَ الأَبُ قَوْسَ قُزَحٍ كَبيراً، كُلُّ لَوْنٍ مِنْ أَلْوانِهِ مُلاصِقٌ لِلآخَرِ. وَضَعَ أَوَلاً اللَّوْنَ البَنَفْسَجِيَّ، ثُمَّ الأَزْرَقَ، تَلاهُ الأَخْضَرُ، ثُمَّ الأَصْفَرُ، وبَعْدَهُ البُرْتُقالِيُّ، وأَخيراً الأَحْمَرُ. نَظَرَ راجي إِلَيْهِ بِإِعْجابٍ، وقالَ: هَذا قَوْسُ قُزَحٍ جميلٌ جِدّاً. إِنَّهُ لي وَحْدي، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يا أَبي؟





هَزَّ الأَبُ رَأْسَهُ مُوافِقاً: هَذا صَحيحٌ، ولَنْ يَخْتَفِيَ أَبَداً.

فَكَّرَ راجي قَليلاً، ثُمَّ أَخَذَ قَلَماً ورَسَمَ رَجُلاً، ووَلَداً فَوْقَ القَوْسِ.

ـ هَذا أَنْتَ يا أَبي، وهَذا أَنا. لَقَدْ طَلَعْنا القَوْسَ، وسَوْفَ نَذْهَبُ مَعَهُ في رِحْلَةٍ بَعيدَةٍ جِدّاً.

سَأَلَهُ الأَبُ: وهَلْ تُريدُ أَنْ نَأْخُذَ مَعَنا أَحَداً؟

ـ نَعَمْ.. سَنَأْخُذُ أُمّي، وأَخي راوي.

رَسَمَهُما فَوْقَ القَوْسِ، ثُمَّ فَكَّرَ وسَأَلَ: هَلْ نَأْخُذُ أَوْلادَ الجيرانِ مَعَنا؟

فَأَجابَ الأَبُ: إِذا كُنْتَ تُريدُ.

رَسَمَ راجي رِفاقَهُ الثَّلاثَةَ، ثُمَّ حَمَلَ الوَرَقَةَ قائِلاً: سَأُريها لأَصْدِقائي.







أَسْرَعَ راجي إِلى بَيْتِ أَصْدِقائِهِ، وأَراهُمْ صورَةَ القَوْسِ قائِلاً: انْظُروا هَذا أَبي، وأَنا، وأُمّي، وأَخي، وهَذا أَنْتَ يا صابر، وهَذا سامِر، وهَذِهِ لينا. سَآخِذُكُمْ مَعي في رِحْلَةٍ عَلى قَوْسِ قُزَحٍ، لأَنَّكُمْ أَصْدِقائى، وقَدْ نَتزَلَّجُ فَوْقَهُ إِذا أَرَدْتُمْ.

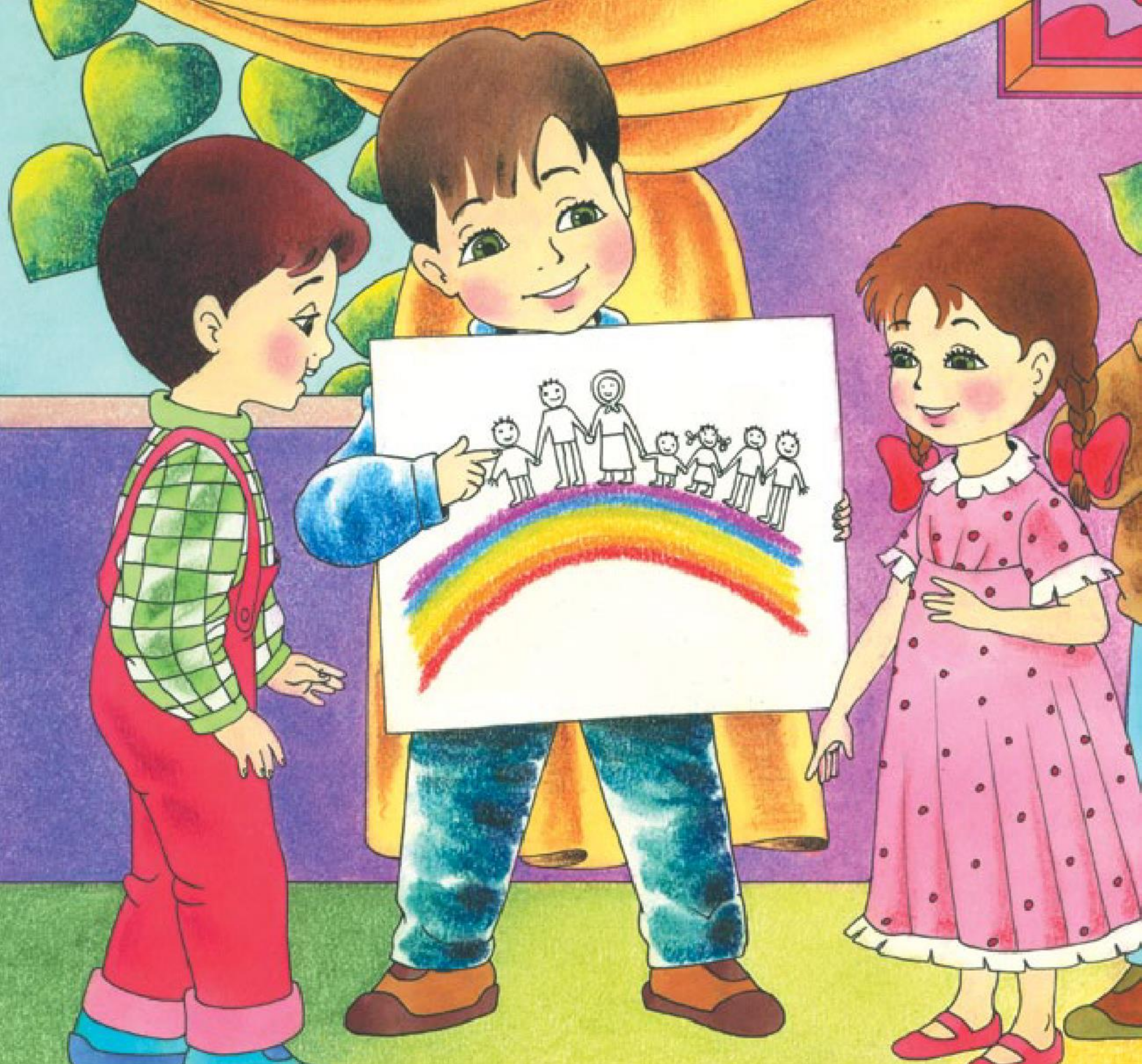
أُعْجِبَ الأَوْلادُ بِالرَّسْمِ.

قالَ صابِرٌ: إِنَّهُ قَوْسٌ جَميلٌ جِدّاً.

وسَأَلَ سامِرٌ: هَلْ رَسَمْتَهُ أَنْتَ؟

أَجابَ راجي: أَبي رَسَمَ القَوْسَ، وأَنا رَسَمْتُ الباقي، وعِنْدي الكَثيرُ مِنَ الأَوْراقِ، وأَقْلامِ التَّلْوين، تَعالَوا إِلى بَيْتي لِنَرْسُمَ مَعاً.

رافَقوهُ. رَسَمَ كُلٌّ مَنْهُمْ صورَةً مُخْتَلِفَةً، وقَدَّمَها إِلى الآخَرينَ لِيَروها. إِسْتَمْتَعَ راجي، وتَسَلّى كَثيراً، وعِنْدَما مَلَّ الجَميعُ مِنَ الرَّسْمِ، فَتَحَ راجي الخِزانَةَ، وأَخْرَجَ مِنْها كُلَّ أَلْعابِهِ قائِلاً: تَعالَوا لِنَلْعَبَ بِها الآنَ.



ومُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ صارَ راجي يُشارِكُ رِفاقَهُ في كُلِّ شَيءٍ، ولَمْ يَعُدْ يُحِسُّ بِالضَّجَرِ أَبَداً. أَمّا الشَّكْوى فَقَدْ تَرَكَها إِلى غَيْرِ رَجْعَةٍ.

